جماليات الحذف من منظار علم اللغة و البلاغة في النصوص الأدبية الراقية (القرآن الكريم و الصحيفة السجادية أنموذجا)

دكتورة آفرين زارع (أستاذ مساعد بجامعة شيراز)

راضية كريمي (طالبة الماجستير بجامعة شيراز)

The beauty of omitting of linguistic and grammar view in the high class literature texts, the Holy Quran and the Sajadiat paper as an example.

***phd. Avrin Zari'e* –ASST. prof in Shiraz University**
***Radhia Karimi* –Master student in Shiraz University**

The omitting of the important grammar elements in the past ,and that had under a word –ellipsis- under group of grammar elements in the modern text science ,and the elements is implied to achieve the firm and harmony in the same text ,and this is an ancient phenomena in the search that was taken a lot of care by the ancient editors ,where they implied it on their precious religious and literature texts that contains with such methods, and because of the Holy Quran,-Nahj Al Balagha- Sajadiat paper –are the most important treasures in our heritage and the wondrous literature of our heritage ,it is funny when we look to the omitting elements and their beauty as analytical look to imply on these books on the base of a descriptive way –analytical- and this what this article is going to describe the omitting and it`s laws, and the conditions of the omitted and their kinds ,and to describe this phenomena in the range of grammar and modern quotations science ,and then they imply the new and old scientific systems for Holy Quran,and some quotes of Sajadiat paper ,and finally it concludes the beauty of it`s grammar and text .

Main words : firm ,omitting ,grammar, reference

L'esthétique dans la suppression du point de vue de la linguistique et de la rhétorique Dans les textes littéraires plus hauts
(Le saint Coran et la feuille Al Sajadia comme un modèle)

Dr.Avren Zareï
(prof-adjoint dans l'Université de Shiraz)…
Radhia Karimi
(Une étudiante à la maîtrise dans l'Université de Shiraz)…

La suppression est considérée l'un des éléments importants grammaticales et rhétoriques anciens, qui entre actuellement sous le nom d'«**ellipse**» avec l'ensemble des éléments de moulage grammaticale dans la science de texte. Ce sont des éléments qui sont utilisés pour réaliser la cohésion et l'harmonie dans le même texte. Il est des phénomènes anciens dans la recherche qui a reçu une attention considérable des scientifiques anciens et modernes, où ils les ont appliqué à leurs munitions religieuses et littéraires qui sont pleines par ces styles graphiques.

Et puisque les textes religieux de«**Coran**», «**Nahj Al Balaghaa**» et de « **La feuille Al Sajadia**», sont considérés comme l'une des munitions plus importantes de notre héritage islamique et des chefs-d'œuvre de la littérature éloquente, et il est intéressant d'examiner les éléments de suppression, et ses aspects esthétiques par un moyen analytique dans ces livres basés sur l'approche descriptive-analytique. Ceci est ce que cet article essaye de chercher au concept de ((**l'ellipse**)) et son origine, les conditions et les types qui concerne le supprimé, et de clarifier ce phénomène dans la porté de la rhétorique et de la science de texte moderne. Puis, on essaye d'appliquer les systèmes scientifiques anciens et modernes sur les versets de noble Coran et quelques invocations de la Feuille Al Sajadia, à fin de déduire ses esthétiques rhétoriques et textuelles.

Mots clés: la cohésion, la suppression, la science de texte, la référence.

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخّص

يعد الحذف من العناصر النحوية و البلاغية الهامة قديما، و الذي يدخل باسم « ellipsis» تحت مجموعة عناصر السبک النحوي لعلم النص حديثاً. و هي عناصر تُوظَّف لتحقيق التماسك و الانسجام في النص الواحد. فهو من الظواهر القديمة في البحث الذى لقي عناية كبيرة لدى القدماء و المحدثين؛ حيث قاموا بتطبيقه على ذخائرهم الدينية و الأدبية التي تزخر بهذه الأساليب البيانية.

و بما أن النصوص الدينية نحو «القرآن الكريم» و «نهج البلاغة» و «الصحيفة السجادية»، تعد من أهم ذخائر تراثنا الإسلامي الراقيّ، و من روائع الأدب الفني البليغ و الفنيّ؛ فمن الطريف أن ننظر إلى عناصر الحذف و جمالياته نظرة تحليلية في هذه الكتب القيمة على أساس المنهج التوصيفي – التحليلي. فهذا ما يسعى إليه هذا المقال بذكر مفهوم الحذف و أصوله، و شرائط المحذوف و أنواعه، و إيضاح هذه الظاهرة في نطاق علم البلاغة و علم النص الحديث. ثم يقوم بتطبيق الأنظمة العلمية القديمة و الحديثة على آيات من القرآن الكريم وأدعية من الصحيفة السجادية، وأخيرا يستنتج جمالياتهما البلاغية و النصية.

الكلمات الرئيسة: التماسك، الحذف، علم النص، المرجعية.

١ . المقدمة

الحذف ظاهرة نحوية في شروطه، بلاغية في أغراضه و جمالياته، و بعبارة أدقّ يقوم النحاة بوضع قواعده و إيضاح شروطه في كل مادة تقتضيه، بينما يقوم علماء البلاغة بشرح جمالياته و أغراضه في باب الإيجاز و غيره. و هو من الظواهر الموجودة البارزة في كل لغة ناطقة بها. فتكلم عنه النحويون في نطاق الوجوب و الجواز و تحدث عنه البلاغيون في نطاق الجمال و الروعة و حسن البيان. وظهر فريق ثالث باسم «علماء النص»، الذين عملوا على تفصيل جوانبه المذكورة سابقا، كما قاموا بالتكلم عنه في نطاق السبك النحوى، و الإعادة، و الترابط، و تماسك النص.

و كل هذه الجوانب العلمية من النحو و البلاغة و النص، تكمن في دائرتها جماليات تبدو ملحوظة في «الصحيفة السجادية»، و هو كتاب العلم و الإيمان، و الروعة و البيان، و الترابط و الجريان.

مع أنه لا يمكن تحديد زمن خاص لكشف هذه الظاهرة التي طالما بنى الأدباء و الشعراء في الجاهلية و الإسلام أقوالهم و أشعارهم على أساس منه ؛ لكنه تبدو مظاهر قواعده النظرية و تحديد أبوابه كعلم خاص، في جهود علماء البلاغة. فمن القدماء الذين عالجوا الحذف هو « عبد القاهر الجرجاني » الذي تطرّق إليه فى باب خاص به و حاول أن يوضّح جوانبه بالأمثلة و التطبيق : « هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، و الصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، و تجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، و أتم ما تكون بيانا إذا لم تبن.» (الجرجاني: ١١٢)

و«الحذف ظاهرة لغوية تشترك فيها اللغات الإنسانية، و تبدو مظاهرها في بعض اللغات أكثر وضوحا،... ثبات هذه الظاهرة في العربية و وضوحها يفوق غيرها من اللغات لما جبلت عليه العربية في خصائصها الأصيلة من ميل إلى الإيجاز جعلها – مثلا – تضمر فعل الكينونة في الربط بين جزئي الجملة الاسمية...» (سليمان حمودة، ١٩٩٨م: ٩)

وذهب بعض العلماء إلى أبعد من ذلك، حيث عدّوا الجرجاني من الذين بنوا بحوثهم على أسس التماسك النحوى لعلم النص « وهذه دلائل عقلية يذكرها الجرجانى لإقناعنا بأن الكلام المبين لا تُرسَل الجمل فيه إرسالا من غير قواعد تجعل المتقدم منها مرتبطا بسبب من المتأخر.... و قد تطرق – تبعا لذلك للعطف من حيث هو أداة الربط. و تطرق إلى الإحالة بالضمير، و إلى الموصول، و القطع و الاستئناف، أى ترك العطف، و التنكير أى : ترك التعريف، و الإضافة و التكرار، بأنواعه، و تغيير الرتبة بتقديم ما حقه التأخير، و الحذف الذي له من الأثر، في ربط الجمل، مثل ما للذكر. و استخدم فاء الجزاء لربط جملتين تتعلق إحداهما بالأخرى. » (محمود خليل، ١٤٣٠ هـــ: ٢٢٣)

« و الحذف من المباحث المهمَّة التي أشار إليها كلٌّ من النحويين والبلاغيين وخصَّصوا له أبوابًا كاملة في مؤلَّفاتهم وكُتبهم، وإن اختَلفوا في طريقة التفسير والتحليل، وكذا في الجانب الذي اتَّخذوه مجالاً للدرس والتفسير، فالنحاة مثلاً انطَلقوا من المنطق الإعرابي، متوسِّلين ببعض التأويلات النحوية؛ مثل: "التقدير الإعرابي، والإضمار، والاستتار"؛ لدراسته والبحث فيه، وكان غرَضُهم في ذلك دراسة التركيب والعلاقات النحويَّة، وإيجاد أوْجه التفسير لحركة معيَّنة أو إعراب مُتضَمنٍ في التركيب النحوي لجملةٍ ما، وأمَّا البلاغيون فقد درَسوا الحذف من الناحية الدَّلالية، وحاوَلُوا إثبات مكامن الجمال وصور التفنُّن والإبداع في الكلام، و أوْضَحوا كونه من أسرار البلاغة ».(الحذف في القرآن الكريم، عبد الكريم حميد، مأخوذة في تاريخ ٢٠١٢/١٢/١٧ من الموقع : www.alukah.net)

الدراسات السابقة

فالحذف علم قديم، تحدث عنه كثير من النحاة خلال أبواب من المبتدأ و الفعل و المفعول و... إلخ، دون تحديد باب معين له من مثل ابن مالك و الفيته النحوية، و ابن عقيل الذي تكلم في شرح أبيات الألفية عن شرائط المحذوف و الذي لا بد من مراعاته لكل من علماء البلاغة و النص. ثم أفرد علماء البلاغة له باباً خاصاً دقيقاً على أساس أصول النحو، و ذهبوا إلى بيان أنواعه و شروط تأثيره و جمالياته و

بذلك أسّسوا فرعا مخصصا و إن كان موجزا، و ذلك كله في علم البلاغة الذي بُنَيتْ أصوله بيد البلاغيين من أمثال الجرجاني و السيوطي و الثعالبي و غيرهم، الذين ألقوا كلامهم عبر الاستشهاد و الاستناد بالعبارات القرآنية و الأشعار الأدبية، و خصّصوا مباحثهم بإيضاح الجوانب الإعجازية في القرآن و حذا بعدهم العلماء حذوهم في توظيف البلاغة لتفسير الجمال و حسن التأثير في القرآن مثل السيد أحمد الهاشمي الذى وصف علم البلاغة بـــ الكفيل بإيضاح حقائق التنزيل، و غيره من العلماء المعاصرين، و من أمثالهم طاهر سليمان حمودة (١٩٩٨ م) الذي خصص كتابه بظاهرة الحذف و قام بشرحه بتفصيل و تطويل، وهو و إن أشار إلى الدرس اللغوي في اللغات الإنسانية لكنه كان أكثر تركيزه على أسباب الحذف و أغراضه و أنواعه من منظور النحاة و البلاغيين.

ثم عالجه اللغويون حديثا و جعلوه فرعا من فروع « علم النص » الذى يدخل في اللسانيات، واعتبروه من العناصر الموظفة لتحقيق التماسك النحوى في الجملة و تبعا لذلك وسّعوا نطاقه، و جعلوا له ميزات خاصة. منهم هاليداى و رقية حسن، فدرسته رقية حسن(١٩٧٨م) في مدار البحث اللغوي لقواعد التماسک النحوي في الإنجليزية، ثم عالجت البحث مع هاليداى (١٩٧٦م) في كتاب آخر ذاع صيته و أصبح مرجعا في الدراسات النصية. فسار العلماء خلفه بتطبيق تلک الأصول على لغاتهم و بادروا بتأليف كتب تحتوي على آراء من سبقهم. ومنهم عزّة شبل محمد (٢٠٠٧م) التي ألَّفت كتابها على أساس أصول هاليداى و رقية حسن و غيرهما ممن سبقوها. و الدكتور إبراهيم محمود خليل(١٤٣٠ هـــ) الذي قام بتقديم آراء الجرجاني فى كتابه، و جعل له فضل السبق في تحديد بعض المفاهيم النصية. و محمد الأخضر الصبيحي(١٤٢٩هـــ)، فهو أشار إلى الموضوع إشارة عابرة و استفاد من آراء المؤلفين مثل : أحمد عفيفى و محمد خطّابي، لتعريف الظواهر النصية. كما عالج هذا العلم حسام أحمد فرج(٢٠٠٧ م) الذى فسر الإحالة بعدّة نماذج و قام بتحليله خلال الدراسة النصية.

و حريّ لموضوع متنوع الأطراف كالحذف أن يُجعَل مادة لبحث توصيفي – تطبيقي في النصوص الدينية كالقرآن الكريم، و الصحيفة السجادية إذ إنها تعد من أروع النصوص الأدبية من حيث أسلوبها، و لغتها، و مادتها. و أن يقع البحث فيه موضع إجابة عن الأسئلة المهمة: ما هي الأغراض المستهدفة للحذف في الأدعية؟ هل هناك صلة بين الحذف و نوعه و موضوع الأدعية؟ هل يوجد هناك ارتباط بين قلة المحذوف و كثرته و الأغراض المستهدفة في كل دعاء؟ ما هي جماليات الحذف فيه عامة؟ و هكذا الأسئلة التي تهدينا إلى إلقاء الضوء على جانب من جماليات هذا البحر الزاخر بالمعاني و الجمال.

٢. معنى الحذف و مفهومه

٢. ١. الحذف لغة و اصطلاحا

الحذف لغةً بمعنى «الإلغاء، و الإسقاط، و الضرب » في أكثر المعاجم و معناه على لسان ابن منظور " هو «القطع والقطف والطرح» (باب حذف). و تنبه العلماء قديماً إلى الفروق الدقيقة بين الحذف و الاختصار، حيث شرحوا الحذف بأنه « يتعلق بالألفاظ : وهو أن يأتي بلفظ تقضي غيره، ويتعلق به ولا يستقل بنفسه، ويكون في الموجود دلالة المحذوف، فيقتصر عليه طلب لاختصار، كقوله تعالى: " واسأل القرية " أي: أهل القرية فإن السؤال يتعلق بأهلها، والقرية تدل على المحذوف.. وأما الاختصار: فيرجع إلى المعاني، وهو أن يؤتى بلفظ مفيد لمعان كثيرة لو غير بغيره، لاحتاج إلى أكثر من ذلك اللفظ، كقوله تعالى في قصة يوسف: ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ فأرسلوه، فأبى يوسف، فقال: أيها الصديق ! وكقوله تعالى: ﴿اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ﴾ » [البقرة : ٦٠](العسكري : ٧١١)

أما الحذف اصطلاحا، فهو إسقاط عنصر من الكلام يدل عليه دليل، و يشمل حذف الكلمة، و العبارة، و الجملة، و الحرف، و الحركة... إلخ.

٢ . ٢ . معنى الحذف عند علماء البلاغة

أما الحذف من منظور البلاغيين فإنما يحدث لإلقاء التأثير، و إظهار الجمالية، و تحقيق الأغراض المستهدفة فيعتبر « الحذف أحد وجهي الإيجاز، و قد

استقر لدى أهل البلاغة أن الإيجاز من أظهر دلائل الفصاحة، و أعلاها مكانة، و أشرفها مرتبة، بل يرى البعض منهم أنه جماع البلاغة ؛ و إنما استحق عندهم هذه المنزلة بأسباب بينوها في كتبهم، و ساقوا لها الشواهد و الأمثلة. و الحذف يذهب بقدر كبير من هذه الفضيلة ؛ لأنه ينهض بقسط وفير من عمل الإيجاز و أثره، فهو يخفف حمل الأسلوب، و يضع عنه كثيرا من الأعباء اللفظية التي توهنه، و العبارات التي تثقله، و يصفى الكلام و ينقيه و يهذبه بحذف زوائده، و ترك فضوله، ليجنبه الإطالة ».(الشهري، ١٤٢٤ ه : ٢٣)

٢ . ٣ . معنى الحذف عند علماء النص

أكثر التعاريف لظاهرة الحذف فيما يرتبط بعلم النص، يدور حول الاستغناء عن جزء من الكلام لوجود دليل على المحذوف :

- يذكر ابن جنى في كتابه الخصائص ان العرب حذفوا الجملة، و المفرد، و الحرف، و الحركة، و ليس شيء من ذلك إلا عن دليل. (الحذف و دوره في التماسك النصي، إبراهيم محمد عبدالله مفتاح، مأخوذة في تاريخ ٢٠١٢/١١/٢٨ من الموقع: www.ta5atub.com)

- و يرى "دى بوجراند " بأنه استبعاد للعبارات السطحية و التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسع أو أن يعدل بواسطة العبارات الناقصة. "(عفيفي، ٢٠٠١ م : ١٢٥)

- و ذهب " كريستال " بمصطلح "Ellipsis " إلى أنه حذف جزء من التركيب الثاني يدل عليه دليل في التركيب الأول « و يبدو الحذف أكثر وضوحا في حالة خلو البنى اللاحقة من الأفعال و يطلق روس على هذه الحالة اسم « الفجوية » gapping، و ذلك لأن الفعل هو آخر ما يمكن الاستغناء عنه »(أحمد فرج، ٢٠٠٧ : ٩٠).

- « ففي بعض السياقات يمكن حذف كلمة أو عبارة بدلا من تكرارها، فترد البنية بتمامها قبل ورود البنية المضمرة، هذه الوسيلة تسمى الحذف. كما في قوله تعالى ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾ [التوبة : ٣] و التقدير : « رسوله

بريء من المشركين.» فيفهم الحذف بافتراض عنصر سابق يعد مصدرا للمعلومة المفقودة.(شبل محمد، ٢٠٠٧ م : ١١٥)

- إذاً « الحذف ظاهرة نصية لها دورها... في انسجام النص و التحام عناصره... و هذه الظاهرة توجد بكثرة في اللغة المنطوقة، لأن الكثير مما يحيل عليه الكلام موجود في محيط المتكلمين، وبالتالي ليس هناك داع لذكره.» (الأخضر الصبيحي، ١٤٢٩ هـــ: ٩٣)

٣. شروط الحذف

هناك شروط للحذف من منظور الدراسات النصية كما له شروط في النحو. فالشروط النحوية كثيرة بكثرة القواعد النحوية و الوجوب و الجواز و... إلخ، و تختلف عما يهمّ في الدراسات النصية ؛ و الشروط التي تعتبر من منظور الدراسات النصية هي ما يأتي:

٣ . ١ . الدليل على المحذوف

لا يسبب الحذف عيوباً في النص من الخلل، و الفساد، و اختلاط المعنى بل على العكس يؤثر في جمالية ظاهر الكلام كما يؤثر في جمالية المعنى؛ إذ هو يحدث بمراعاة شروط وضعها علماء اللغة قديما و حديثا. و الشرط الرئيس المهم عند الجميع هو « ضرورة وجود دليل على المحذوف يتمثل في قرينة أو قرائن مصاحبة حالية أو عقلية أو لفظية. فالقرينة الدالة تعد أهم شروط الحذف، يليها في الأهمية ألا يؤدي الحذف إلى لبس في المعنى. » (شبل محمد، ٢٠٠٧م : ١١٦)

فشرط الحذف هو أن يوجد عنصر يدل على معنى العنصر المحذوف، فلا يبقى المعنى ناقصا. فالحذف « لا يتم إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنيا في الدلالة، كافيا في أداء المعنى و قد يحذف أحد العناصر لأن هناك قرائن معنوية أو مقالية تومئ إليه و تدل عليه، و يكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره»(الأخضر الصبيحي، السابق : ٩٢).

و ينقسم الدليل على المحذوف إلى عدة أقسام :

- الدليل اللفظي العام : هذا يتمثل في العنصرالملفوظ الذي يدل على المحذوف، سبقه أم لحق به، مثل قوله تعالى ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ﴾ [النحل : ٣٠] أي: أنزل خيرا.
- الدليل الصوتي : يختص باللغة المنطوقة و يفهم بحالة المتكلم حين أداء اللفظ أنّ هناك عنصراً محذوفاً، كحذف الصفة مع إرادتها و ذكر الموصوف فحسب : «سير عليه ليل»... ليل طويل. فالتنغيم يعتبر دليلاً على المحذوف.
- الدليل الإعرابي : «أهلا و سهلا و مرحبا »
- الدليل الصناعي : ما يرتبط بصناعة النحو، و ما وضعه النحاة من أسس و أصول، عامة أو خاصة.(راجع : سليمان حمودة، ١٩٩٨ م : ١١٦)

٣ . ٢ . شروط أخرى للحذف

ثمة شروط للحذف ذكرها العلماء قديما و حديثا، منها علم المتلقي بالسياق : « و يشترط في الحذف إحاطة متلقي النص بمكونات السياق اللغوي و الاجتماعي المصاحب له ؛ ليتمكن من تقدير العنصر المحذوف تقديرا صائبا. كما يشترط أن يكون العنصر المحذوف من نفس مادة المذكور قبلا ؛ و من ثم عدّه بعض النصيين متداخلا مع الإحالة القبلية إلا أن ذلك يكون بعنصر صفري و كذلك اشترطوا وجود الدليل على المحذوف. » (رمضان النجار: ٣١٩ نقلا عن كتاب لسانيات النص لمحمد خطابي ص ٢٢)

كما توجد شروط تقع في الأهمية بعد الدليل على المحذوف. مثلما ذكر عن ابن هشام :

- الدليل على المحذوف.
- أن يكون المحذوف فضلة.
- ألا يؤدى الحذف إلى نقض الغرض كأن يقع الحذف و التوكيد معا.
- ألا يؤدى إلى اللبس.
- ألا يكون عوضا عن الشيء المحذوف.
- ألا يكون المحذوف عاملا ضعيفا.

– ألا يؤدى الحذف إلى تهيئة العامل للعمل و قطعه عنه.(راجع : سليمان حمودة، السابق : ١١٥)

٤. أنواع الحذف

تختلف أنواع الحذف باختلاف ما ذهب إليه النحاة و علماء البلاغة و النص. فكل منهم يذكر أنماطا متنوعة له من حذف الجملة، و التركيب، و الكلمة، إلى حذف الفعل، و الاسم، و الحرف، و الصوت، و الحركة.

٤ . ١ . الحذف في علم النص الحديث

ينقسم الحذف إلى ثلاثة أقسام :

٤ .١ . ١ . الحذف الاسمي : و هو حذف الاسم داخل المركب الإسمي. نحو : « أي قميص ستشتري ؟ هذا هو الأفضل » أي هذا القميص. (راجع : عفيفي، ٢٠٠١ م : ١٢٧)

ينقسم هذا النوع نفسه، إلى ثلاثة أقسام :

– العنصر الاشاري : حذف الاسم بعد هذه العناصر الإشارية : كل، بعض، أى، كلا، كلتا.

الرجال رجعوا في منتصف الليل – الكل كان متعبا.

– العنصر العددي : حذف الاسم قبل الأعداد و بعدها، و الحذف الذي يقع خلال الكلمات الدالة على الكم : كثير، قليل، عديد. – هل لك في حلوى أخرى ؟ – لا شكرا، لقد كانت الثالثة.

– عنصر النعت : و هو أن يحذف المنعوت و يحل النعت محله.(راجع : شبل محمد، السابق : ١١٨)

– أ تريد ممسحة ؟ – نعم، جئ بنظيفة منها.

٤ . ١ . ٢ . الحذف الفعلي : و هو الحذف داخل المجموعة الفعلية، أي أن يكون المحذوف عنصرا فعلياً

(راجع : عفيفي، السابق : ١٢٧) و هذا الحذف نوعان :

- الحذف المعجمي : حيث يحذف الفعل الأصلي الدال على العمل الخاص، و يبقى الفعل الساعد كالأفعال الناقصة : - كاد المريض يموت ؟ - نعم، كاد.

- حذف العامل : و هو أن يحذف العامل و يبقى الفعل المعجمي :

هل هي كانت تبكي ؟ - لا، بل تضحك.

فإن المحذوف في الجواب و هو « كانت »، يرجع إلى « كانت » المذكور في السؤال، و هو يعد فعلا عاملا حُذف و بقي الفعل المعجمي في الجملة فحسب.

٣.١.٤. حذف الجملة : حيث تحذف جملة لوضوح معنى الجملة و سهولة فهم المحذوف بدلالة القرائن الموجودة في الجمل السابقة. و ذلك مثل السؤال و الجواب.

- هل السماء زرقاء ؟ - نعم.(السماء زرقاء)

فأنواع الحذف تتعدد « في اللغة العربية : فقد يكون الحذف لأسماء(مبتدأ ــ خبر ــ فاعل ــ مفعول به ــ حال ــ مجرور بحرف...). و نحن ننظر إلى الإسم باعتبار المعنى النحوي له. و هناك حذف الجمل و الجميلة و هي الجملة التابعة لجملة أساسية. و هناك أشكال أخرى للحذف مثل حذف الحروف أو الظروف. و يعد الحذف بذلك عنصرا من عناصر النموذج الإجرائي للنمو المتفاعل مع العوامل النصية. »(أحمد فرج، ٢٠٠٧ م : ٩١)

٢.٤.أنواع الحذف في البلاغة

إن الحذف الجميل في البلاغة هو الحذف الذي لا يتم المعنى إلا بمراعاته:

الحذف خلاف الأصل و يكون لمجرد الاختصار و الاحتراز عن العبث بناء على وجود قرينة تدل على المحذوف، و هو قسمان :

أ. قسم يظهر فيه المحذوف عند الإعراب : كقولهم : " أهلا و سهلا " فإن نصبها يدل على ناصب محذوف يقدر بنحو : جئت أهلا و نزلت مكانا سهلا، و ليس هذا القسم من البلاغة في شيء.

ب. و قسم لا يظهر فيه المحذوف عند الإعراب : و إنما تعلم مكانه إذا أنت تصفحت المعنى و وجدته لا يتم إلا بمراعاته... ولا سبيل إلى إظهار ذلك

المحذوف، و لو أنت أظهرته زالت البهجة، و ضاع ذلک الرونق(الهاشمي، ١٣٧٨ هـ: ٩٩).

٤. ٣. أنواع الحذف في النحو

هناک أنواع كثيرة من الحذف ذكرت في علم النحو خلال الأبواب المختلفة، من المسند، و المسند إليه، و الفاعل، و المفعول، إلى حذف الحروف كحرف العلة و... إلخ. و لابد من ملاحظة مهمة و هي أن الأصل في دراسة الجماليات في نص ما، هو الذى يذكر في البلاغة و ما ذهب إليه العلماء في علم النص ؛ إذ ليس لكل محذوف أغراض و جماليات، و بعبارة أدق ليس كل حذف من الروعة و الجمال و حسن السبك في شيء ؛ بل الذي يجعل الكلام جميلا، طريفا، متماسكا و يجعل القارئ ممتعا، مدهشا بأساليبه هو الحذف الذي يحدث لغرض بلاغي غير مقيد بوجوب لا يجوز تركه.

و لكنه لابد للباحث أن يعرف أنواع الحذف في النحو ليميز شروطه، و مواضع وجوبه و جوازه ليكون على وعي دقيق في دراسة جماليات الحذف في النص. و من أنواع الحذف النحوي ما يأتي باختصار :

٤. ٣. ١. الحذف في الصيغ(الحذف الصرفي و الصوتي)

- حذف حروف العلة
- حذف النون(نون الجمع، نون المثنى...)
- حذف الهمزة (حذف همزة أفعل في المضارع و اسم الفاعل)
- حذف التاء(في الأعداد : ثالث، ثالثة – تاء التأنيث عند النسبة، و عند جمع المؤنث – في الترخيم)
- حذف التنوين و الحركات.

٤. ٣. ٢. الحذف في التراكيب(في الجمل)

- حذف الأسماء : حذف المبتدأ، و الخبر، و الفاعل، و المفعول به، و المضاف، و المضاف إليه، و الموصوف، و الصفة، و المعطوف، و التمييز، و....

- حذف الأفعال : حذف الفعل يحدث في أسلوب النداء، و الاختصاص، و الإغراء و التحذير، و المدح و الذم، و القسم. أو في تراكيب مثل الاشتغال، و في الأمثال، و جملة الصلة، و عامل المفعول المطلق....
- حذف الحروف
- حذف الجمل : حذف جملة الشرط و الجواب، جملة القسم و جوابه، حذف الجملة بعد إذ....(راجع سليمان حمودة، السابق : ١٧٣-٢٩٠)

٥. دور الحذف في تماسك النص

إتضح مما مرّ سابقا أنه لابد لدليل على المحذوف كالقرائن الموجودة في النص. و تتضح أهمية هذا الدليل أو القرينة من الدور الذي يقوم بإنجازه و الوظائف التي يؤديها خلال النص و هذه الوظائف هي التي تسبب الترابط بين أجزاء الجمل و التماسك في النص الواحد. ومن هذه الوظائف هي: المرجعية و التكرار.

٥. ١. المرجعية: أن يرجع المحذوف إلى عنصر في النص و هي على قسمين: المرجعية الداخلية، و المرجعية الخارجية.

٥. ١. ١. المرجعية الداخلية

- المرجعية الداخلية السابقة : إذا كان للحذف علاقة قبلية و كان العنصر المفترض أو المرجع سبق ذكره عن موضع الحذف في النص فهذه هي المرجعية السابقة و ذلك من مثل: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾[التوبة : ٣] أي «ورسوله بريء من المشركين» فهذا التركيب المحذوف يرجع إلى عنصر سابق في النص و هو « بريء من المشركين» المذكور.

- المرجعية الداخلية اللاحقة : إذا كان موضع الحذف سابقا عن العنصر المفترض و ذُكِر المرجع و هو لاحق به(بعد حذف المحذوف)، فحينئذ يمثَّل المرجعية اللاحقة، من مثل: «نحن بما عندنا... و أنت بما عندك راض و الرأى مختلف.»

و معظم المرجعيات هي المرجعية السابقة « و الحذف من الثاني لدلالة الأول عليه هو الأكثر لأن الحذف في الآخر أسهل من الحذف في الأول...فالمرجعية إذا كانت بين المحذوف و المذكور فهي داخلية لاحقة أما إذا كانت بين المذكور و المحذوف على الترتيب، فإنها تكون داخلية سابقة. » (الحذف و دوره في التماسك النصي، إبراهيم محمد عبدالله مفتاح، مأخوذة في تاريخ ٢٠١٢/١١/٢٨ من الموقع : www.ta5atub.com)

٥. ١. ٢. المرجعية الخارجية : هذا الضرب من المرجعية قد يقع في النص و « ذلك في سياقات معينة حث يقدم لنا سياق الموقف المعلومات التي نحتاج إليها في تفسير الحذف و لكن الحذف الخارجي يخرج عن تماسك النص الداخلى إلى تماسك النص مع السياق. »(شبل محمد، السابق : ١١٦)

٥. ٢. التكرار

الوظيفة الثانية للمحذوف و القرينة التي تسبب تماسك النص، هو التكرار « و قد يحقق التكرار باللفظ و المعنى، و قد يكون بالمعنى دون اللفظ، لكن تظل استمرارية النص قائمة مما يسهم في تماسك النص.... فيصبح أثر الحذف هو توسيع (مد) السيطرة الدلالية أو النصية لجملة ما إلى جملة تالية. و لا يقل الحذف أهمية عن غيره من الوسائل في تحقيق تماسك النص لأن المحذوف يعامل من ناحية الدلالة معاملة المذكور.» (إبراهيم الفقي، ٢٠٠٠ م : ٢٤٦)

فبذكر عنصر التماسك في النص يظهر الاختلاف بين ما ذهب إليه البلاغيون و بين مذهب علماء النص. فيعمد البلاغيون إلى الحذف ليحصل بذلك أغراض شتى، كالاختصار و الإيجاز و تجنب التكرار، بينما ينظر علماء النص إلى ظاهرة الحذف كعنصر من العناصر التي تحقق الترابط في النص بالتكرار. فهم يركّزون على المحذوف من حيث إعادته إلى الدليل و إرجاعه إلى القرينة، و يجعلون له دورا حيا كعنصر مذكور، و ينسى البلاغيون المحذوف و يتأكدون على الحذف نفسه و جماليات الجملة و بلاغتها بعد الحذف.

و يتضح من كل ذلك أن الباحث في دراسة الحذف، لا بد أن يحدّد طريقه في البحث؛ لأن الطريق الذي تسير فيه البلاغة يختلف عن طريق علم النص في كيفية دراسة الحذف. فالباحث في علم النص لابد أن ينظر إلى الحذف كعنصر من عناصر الترابط و التماسك، و أن يجعل الحذف محصورا في العناصر التي ترجع إلى دليل داخل النص أو خارجه؛ كما يجب أن يميز بين تماسك النص الداخلى بالمرجعية الداخلية و تماسك النص مع السياق بالمرجعية الخارجية. و بذلك تبدو هناك صلة وثيقة بين الحذف و الإرجاع في علم النص، و ذهب البعض إلى أبعد من ذلك، حيث عدّوا الحذف من الإحالة لما يلزمه من الإرجاع و الإعادة.

٦. أغراض الحذف و جمالياته

عندما يصل الدور إلى أغراض الحذف و جمالياته، يأخذ البلاغيون القسط الأوفر من الخبرة و التدقيق. ففي هذا الموضع الدقيق الجميل يظهر مدى قيمة آرائهم و جهودهم في سبيل إلقاء الضوء على دراسة الجماليات الحذفية. و قلما نرى آراء في أغراض الحذف، و هي تختص بعلماء النص؛ لأنهم يركزون على التماسك و الترابط و يرون كل جمالية يخلقها الحذف محصورا في المرجعية و التكرار. فجاءت فيما ألّفه العرب بعد هاليداى و رقية حسن آراء منثورة كانت في الغالب مأخوذة من الكتب البلاغية مما يوحى إلينا أن الحذف من منظور الدراسات النصية لا يختلف عما يسمى بالإعادة، دون اهتمام إلى الأغراض البلاغية الهامة التي تجعل النص رائعا، بليغا، مؤثرا و موجزا.

و في هذا الصدد أتى الجرجاني بنماذج من الحذف بين فيها الجوانب البديعة حيث قال: «و أنا أكتب لك بديئا أمثلة مما عرض فيه الحذف، ثم أنبّهك على صحة ما أشرتُ إليه، و أقيم الحجة من ذلك عليه.... و مثله قول الآخر :

هَلْ تَعْرِفُ الْيَومَ رَسْمَ الدَّارِ وَ الطَّلَلا كَمَا عَرَفْتَ بِجَفْنِ الصَّيْقَلِ الْخِلَلَا

دَارٌ لِمَروَةَ إِذْ أَهْلِي وَ أَهْلُهُمُ بِالكَانِسِيَّةِ نَرعَى اللَّهْوَ وَ الْغَزَلَا

... و انظر إلى موقعها في نفسك، و إلى ما تجده من اللطف و الظرف إذا أنت مررت بموضع الحذف منها...» (الجرجاني، د. ت : ١١٦)

و من الأغراض المذكورة في كتب البلاغة ما يلى :

- الاحتراز عن العبث بناء على الظاهر أو تخييل العدول إلى أقوى الدليلين و اللفظ كقوله: «قال لي كيف أنت قلت عليل».
- تيسير الإنكار لدى الحاجة: فاسق فاجر .
- اختبار تنبه السامع له عند القرينة، أو مقدار تنبهه. نحو « نوره مستفاد من نور الشمس » و « هو واسطة عقد الكواكب » و المقصود « القمر » فى المثالين.
- صون المسند إليه عن لسانك تعظيما له نحو: مقرر للشرائع موضح للدلائل. أو عكسه، أى إيهام صون لسانك عنه تحقيرا له نحو: ﴿ صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ ﴾ (راجع: التفتازانى، ١٣٩١ ش: ٤٧)
- ظهوره بدلالة القرائن عليه: نحو: ﴿ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ﴾ [الذاريات: ٢٩] أي أنا عجوز عقيم.
- إخفاء الأمر من غير المخاطب: نحو أقبل. إذا أريد أن يخفى الفاعل.
- الحذر من فوات الفرصة السانحة : كقول منبه للصياد : «غزال»، أي هذا غزال.
- المحافظة على السجع، و القافية، والوزن، نحو : «من طابت سريرته، حمدت سيرته».
- تكثير الفائدة(راجع : الهاشمي، السابق : ١٠٠)

و تنقل شبل محمد عن الجرجاني أغراضا للحذف منقسما إلى ثلاثة أقسام :

١. قصد المتكلم: أغراض الحذف في مفهوم القصدية : كالقطع و الاستئناف، و المقابلة بين المعنى والتعظيم، والاهتمام، والتحقير، والإبهام، والقصر والتعميم، والإجمال أو صيانة المحذوف عن الذكر... إلخ.

٢. الأغراض التركيبية للغة: كالحذف الواجب في العربية، التخفيف والإيجاز والاجتناب من ثقل الكلام، الضرورة الشعرية، ضرورة المحافظة على السجع، ورعاية الفاصلة في آيات القرآن.

٣. دور المتلقي: وهو يشمل عمليات المتلقي الذهنية، فقد يقع الحذف لعلم المخاطب به (٢٠٠٧م : ١١٧)

٧. الحذف في القرآن الكريم

يعالج الحذف ــ في هذا الصدد ــ بصفته عنصراً من عناصر الترابط و التماسك، و يُحاول أن تكون دراسة الحذف محصورة في العناصر التي ترجع إلى دليل، أو تحقّق التكرار، داخل النص أو خارجه؛ كما يتم التركيز على التمييز بين تماسك النص الداخلي بالمرجعية الداخلية و تماسك النص مع السياق بالمرجعية الخارجية، مما ينجم عن دراسة الحذف معتمدا على الاتجاه الحديث في مجال علم النص.

٧. ١. تقريب المسافة بين المفردات الظاهرة و المهمة في النص

تحذف العناصر الكلامية من الكلمة و التركيب و الجملة، للإشارة إلى نقطة مهمة بين موضوعين و ذلك مــن مثــل: ﴿ **وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ** ﴾ (الأعراف/ ١١٧) فحذفت الجملة بعد «ألق عصاك» لتقريب المسافة بين أمر الله و نتيجة إطاعته. فالغرض من هذا الحذف، و هو جملة «.. فألقى عصاه..»، عرضٌ سريع لنتيجة إتباع أوامر الله، و هي نجاح موسى و غلبته السحرة بتلك المعجزة.

و يبدو أن الحذف في هذه الآية هو الحذف بالمرجعية الخارجية التي تحقق تماسک النص مع السياق، حيث يقدم لنا سياق الموقف حذف جملة كهذه.

٧. ٢. إرادة شيءأهم من المحذوف

أمثلة هذا الغرض من الحذف تتبلور في سياق السؤال و الجواب. فإن أهمية الجواب الذى يقدمه المخاطب هي التي تحرّض على إيجاز الجملة بحذف العناصر التي لا تقصد و لا تهم. و ذلک من مثل الآية الكريمة ﴿ **وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ** ﴾(الأنعام / ٣٠). فالإجابة بالتعيين – بلى – هي التي تهم للعبرة و الموعظة. والمحذوف و هو يقع بعد بلى «

بلى و ربنا هذا بالحق » ذو مرجعية داخلية سابقة، حيث يرجع المحذوف إلى تركيب « هذا بالحق » المذكور، و يحقق بذلك التماسك و الاتساق بين الجمل.

و يوجد هذا الحذف الجملي في سياق السؤال و الجواب في آيات أخرى من القرآن من مثل:

- ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ (البقرة/ ٢٦٠)

- ﴿ ..فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (الأعراف / ٤٤)

- ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ (الأعراف /١١٣- ١١٤)

- ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴾ (الصافات/ ١٦ – ١٨)

٧. ٣. خلق تراكيب متوازنة و مسجوعة

و أكثر ما يحذف لخلق تراكيب مسجوعة هو المفعول الذي قد ذكر سابقا فى النص، فيحذف للدلالة عليه. و أمثلة هذا كثير في القرآن، حيث يقع التوازن بين الفواصل بحذف المفاعيل، نحو: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ (طه /٥٠- ٤٩) فحذف المفعول من «هدى» للدلالة عليه، و سبب ذلك خلق تركيب متوازن مع آخر الآية السابقة. و من مثل: ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴾ و التقدير: (أول من ألقى الحبال و..).

و من أمثلة أخرى في هذا الصدد :

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ (المدثر ١ – ٥)

٧. ٤. الحذف للتهديد و الوعيد

قد تحذف الصفة أو المفعول أو عناصر أخرى للنص، ليخلق بذلك إبهام في السياق ينجم عن هول عظيم في الوعيد أو خوف كبير في التهديد. و ذلك ما يوجد في وصف القيامة خلال آيات من القرآن الكريم. و من أمثلة ذلك: ﴿ **فَٱرۡتَقِبۡ إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ** ﴾[الدخان : ٥٩] فحذف المفعول به، ليشير إلى عظمة ما سيحدث للمؤمنين من الأجر و الخير و ما سيحقق و يغلب على الظالمين من العذاب و الوعيد. فبذلك خلق إرهاص بما سيكشف في المستقبل.

و من ذلك حذف الصفة للإحالة إلى التمييز بين الصفتين في الشدة و التأثير، و ذلك من مثل: ﴿ **وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ** ﴾ (النمل / ٥٠) فإن الصفة المحذوفة من كلا الكلمتين «مكرا» هي التي تحقق تماسك النص، فيفهم المحذوف بالسياق و ذلك عن طريق المرجعية الخارجية. ومن قبيل ذلك ما حذف من الفعل في هذين الآيتين: ﴿**إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ**﴾ (المدثر/ ١٨) و فـــي الآية ﴿**لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ**﴾(المدثر / ٢٨) فإن المحذوف في الآية الأولى يشير إلى شدة الخطأ الذي ذهب إليه المفكّر و في الآية الثانية ينجم عن شمول العذاب وعظمته .

٧. ٥. الحذف للتأكيد و التمييز

تحذف العناصر الكلامية إذا أراد المتكلم إبراز تمييز بين العناصر التي تدخل تحت حكم واحد أوبيان تخصيص لأحد العناصر، و ذلك ما يبدو من حذف الفعل في الآية الكريمة ﴿ **وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَا فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّيَ..** ﴾ (الأعراف/ ١٥٥). فحذف الفعل و الفاعل «أهلكتَ» قبل إياى ليميز بين الرجال و موسى، و ليحصل بذلك فصل و تخصيص بينه و بين قومه.

و المحذوف يرجع إلى مرجع سابق و هو فعل «أهلكتَهم» و بذلك يحصل الترابط و التماسك في النص بالمرجعية الداخلية السابقة.

٧. ٦. حذف العنصر الإشاري و العددي

العنصر الإشاري :

هناك أسماء تحذف بعد العنصر الإشاري و أكثر ذلك في القرآن الكريم هو حذف الاسم بعد «كل» للدلالة على العناصر السابق ذكرها و أمثلة ذلك كثير، منها:

﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾(البقرة/ ١١٦)

- ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ .. ﴾ (البقرة/ ٢٨٥)

- ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(الأنعام / ٨٥)

و النقطة الملحوظة في أمثال هذا النوع من الحذف هو المرجعية القوية التي تحقق للنص تماسكه واتساقه، حيث يرجع المحذوف بعد «كلٌّ» إلى كل العناصر السابق ذكرها، وبذلك تتسع دائرة الترابط و الانسجام في النص و يربط بين أكثر من جملة في النص.

العنصر العددي:

و هو حذف الاسم قبل الأعداد و بعدها و قد يرجع المحذوف إلى المذكور سابقا كان أم لاحقا، نحو:

- ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ (الحاقة / ١٧) فيرجع المحذوف بعد «ثمانيةٌ» إلى الكلمة السابقة «الملك». فالمرجعية داخلية سابقة، تحقق التماسك والترابط للنص.

- ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً .. ﴾ (المدثر / ٢٧ – ٣١) فيرجع الاسم المحذوف بعد «تسعة عشر» إلى الكلمة اللاحقة «ملائكة». فالمرجعية داخلية لاحقة، تحقق التماسك و الترابط للنص.

٨. الحذف في الصحيفة السجادية

سيد الساجدين، زين العابدين، على بن الحسين –عليه السلام– أنشأ هذا النص الشريف «الصحيفة السجادية». ثم صار مكتوبا بيد باقر العلوم، محمد بن على –عليه السلام– ليعطى البشرية بحرا زاخرا من العلوم القيمة و المعارف السماوية، و يعرّفها معتمدا على العقل و العلم. يحتوى الكتاب على أربع وخمسين دعاء يُحيي ذكر الله في القلوب، و نور الإيمان في النفوس، حتى وصف بـ «أخت القرآن» و «إنجيل أهل البيت» و «زبور آل محمد». (راجع: فيض الاسلام، ١٣٦٨ ش : ٣)

ومن ميزات هذا النص التي جعلت كل أجزائه متسقة، منسجمة، متماسكة كحلقات سلسلة، هي كثرة عناصر السبك النحوي من الإحالة، والحذف، والاستبدال، والعطف. و من الطريف أن نحلل في هذا النص عنصراً عالجه العلماء قديما وحديثا، و وقف عند جمالياته كثير من النحاة، والبلغاء، وعلماء النص. فالحذف بأغراضه وجمالياته يأخذ حصته في هذا الكتاب، ومن نماذجه ما يأتي :

الحذف للتأكيد و التنبيه

يبدو أنه حذفت بعض الجمل في سياق التنبيه و التأكيد، و من ذلك ما حذفه الإمام (ع) عند كلامه في الشكر، ليؤكد شدة عجز الانسان عن شكر نعم الله تعالى: «**وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَغْلَقَ عَنَّا بَابَ الْحَاجَةِ إِلَّا إِلَيْهِ، فَكَيْفَ نُطِيقُ حَمْدَهُ؟ أَمْ مَتَى نُؤَدِّي شُكْرَهُ؟ لَا، مَتَى؟**» (الدعاء الأول/ ١٩) فجاء الإمام بإجابة للاستفهام الإنكارى، و هذا ما يؤكد الكلام بنفسه. ثم حذف الجملة الواقعة بعد الإجابة «لا»، ليؤكد الكلام و ينبه به مرة أخرى، ثم بعد ذلك كرّر كلمة الاستفهام دون أن يذكر الموضوع مرة أخرى بعد الاستفهام، و هذا هو التأكيد الثالث. و كل ذلك يرجع إلى العناصر المذكورة سابقا، حيث يرجع المحذوف بعد «لا» إلى الفعلين المذكورين «نطيق و نؤدي»، أي لانطيق ولا نستطيع أن نؤدي، و يرجع المحذوف بعد «متى» الثانية إلى الموضوع المذكور بعد «متى» الأولى، و بذلك يربط كل الجمل برباط خاص يجعل بنية النص متصلة متسقة.

وهذا ما ذكر في سياقات أخرى من الكلام نحو كلامه (عليه السلام) في بيان استحقاق الثواب، و كبرياء الله و شقاوة من سار على غير رضاه :

- **فَمَتَى كَانَ يَسْتَحِقُّ شَيْئاً مِنْ ثَوَابِكَ ؟ لَا ! مَتَى ؟ !**(الدعاء السابع و الثلاثون)
- **(١٦) فَمَنْ أَكْرَمُ يَا إِلَهِي مِنْكَ، وَ مَنْ أَشْقَى مِمَّنْ هَلَكَ عَلَيْكَ ؟ لَا ! مَنْ ؟**(الدعاء السابع و الثلاثون)

ومن أمثلة الحذف، **حذف المفعول به مثل «ذلك» للدلالة على كل العناصر الداخلة تحت حكم واحد**، حيث يرجع المحذوف في مثل هذا المثال إلى كل العناصر المذكورة قريبة و بعيدة، فتتسع دائرة الربط و يقع تماسك مستمر بين أجزاء الكلام، نحو: « **فَغَزَاهُمْ فِي عُقْرِ دِيَارِهِمْ. وَ هَجَمَ عَلَيْهِمْ فِي بُحْبُوحَةِ قَرَارِهِمْ حَتَّى ظَهَرَ أَمْرُكَ، وَعَلَتْ كَلِمَتُكَ، وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.**» (الدعاء الثاني/ ٢٣) أى : و لو كره ذلك المشركون. **و حذف المفعول لإيصال هذا المعنى أن الكراهة في المشركين لا يؤثر في سنة الله تعالى.**

وقد تحذف المفعول اقتصارا، كما يبدو في هذا النوع من الحذف ضربا من التأكيد على الفعل و الفاعل فحسب، و ذلك ما يحدث في جملة الصلة، حيث يحذف العائد نحو : «**(٤) وَ لَا تُخَلِّ فِي ذَلِكَ بَيْنَ نُفُوسِنَا وَ اخْتِيَارِهَا، فَإِنَّهَا مُخْتَارَةٌ لِلْبَاطِلِ إِلَّا مَا وَفَّقْتَ، أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمْتَ..**» (الدعاء الثالث و الأربعون) فالأصل : «ما وفقته و ما رحمته». و من الواضح أن تنضم مرجعية هذا النوع من الحذف تحت المرجعية الداخلية السابقة، لتحقق مع التكرار انسجاماً للنص و تماسكاً بين الجمل.

و انظر إلى حذف الخبر من بداية التراكيب و الجمل في الدعاء الثالث، حيث يرجع المحذوف إلى الخبر اللاحق ذكره مرة، و إلى السابق أخرى :**(٨) الْخُشَّعُ الْأَبْصَارِ فَلَا يَرُومُونَ النَّظَرَ إِلَيْكَ، النَّوَاكِسُ الْأَذْقَانِ، الَّذِينَ قَدْ طَالَتْ رَغْبَتُهُمْ فِيمَا لَدَيْكَ، الْمُسْتَهْتَرُونَ بِذِكْرِ آلَائِكَ، وَ الْمُتَوَاضِعُونَ دُونَ عَظَمَتِكَ وَ جَلَالِ كِبْرِيَائِكَ(٩) وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ إِذَا نَظَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ تَزْفِرُ عَلَى أَهْلِ مَعْصِيَتِكَ سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ.(١٠) فَصَلِّ عَلَيْهِمْ وَ عَلَى الرَّوْحَانِيِّينَ مِنْ مَلَائِكَتِكَ...**(الدعاء الثالث) و هكذا اتصلت العناصر و التراكيب كلها بحذف الخبر مستمرا من بداية الدعاء إلى

أواخره، ليخلق بذلك نصاً أخذ كل جزء منه يد الآخر. ففي هذا الدعاء حصل التماسك بالمرجعية أولا، و بالتكرار ثانيا، حيث عمل التكرار على توسيع السيطرة الدلالية لجملة ما إلى جملة تالية. فالمحذوف يعمل كما يعمل المذكور في النص و بذلك يسهم في زيادة العناصر المتماسكة.

ومن أمثلة الحذف المتكئة على المرجعية و التكرار، هو الحذف في سياق العطف،حيث لا يحتاج فيه إلى ذكر العامل أو شبهه بعد حروف العطف نحو : «(٢) **آمَنْتُ بِمَنْ نَوَّرَ بِكَ الظُّلَمَ، وَ أَوْضَحَ بِكَ الْبُهَمَ، وَ جَعَلَكَ آيَةً مِنْ آيَاتِ مُلْكِهِ، وَ عَلَامَةً مِنْ عَلَامَاتِ سُلْطَانِهِ، وَ امْتَهَنَكَ بِالزِّيَادَةِ وَ النُّقْصَانِ، وَ الطُّلُوعِ وَ الْأُفُولِ، وَ الْإِنَارَةِ وَ الْكُسُوفِ، فِي كُلِّ ذَلِكَ أَنْتَ لَهُ مُطِيعٌ، وَإِلَى إِرَادَتِهِ سَرِيعٌ(٣) سُبْحَانَهُ مَا أَعْجَبَ مَا دَبَّرَ فِي أَمْرِكَ وَ أَلْطَفَ مَا صَنَعَ فِي شَأْنِك...**» (الدعاء الثالث و الأربعون) فهذه الجمل الدعائية تتضمن أكثر من حذف كله يحقق التماسك بالمرجعية السابقة، و يشتمل أنواع الحذف من الحذف الاسمي و الفعلي و الجملي، منها :

- حذف الفعل و الفاعل : و أوضح بك البهم ⟸ و آمنت بمن أوضح بك البهم.
- حذف الفعل : و علامة من علامات سلطانه ⟸ و جعلك علامة من علامات سلطانه.
- حذف الفعل و حرف الجر : و الطلوع و الأفول، و الإنارة و الكسوف ⟸ و امتهنك بالطلوع و الأفول و امتهنك بالإنارة و الكسوف.
- حذف المبتدأ : و إلى إرادته سريع ⟸ و أنت إلى إرادته سريع.
- حذف « ما » التعجبية : ألطف ما صنع في شأنك ⟸ ما ألطف ما صنع في شأنك.

فتُخلَق هذه العناصر الجمالية ارتجالا دونما قصد عميق و تنقيح طويل و إنما ينبعث عن القريحة الوقادة و العلم الالهي التام المطلق الذي يجعل الباحث متيقنا بأنه لا يسير في الضلال تائها ؛ حيث يفضى الاتكاء على دراسة أي من جوانب هذه النصوص إلى كشف نتيجة حتمية و جمالية معجزة.

الخاتمة

* من العناصر السبك النحوي الذي يحقق للنص تماسكه و انسجامه، هو الحذف. و هو من حيث المرجعية و الاحالة و التكرار تدخل في دائرة علم النص الحديث.

* لقي الحذف حظوة رفيعة في الدراسة عند القدماء من النحاة، و علماء البلاغة، حيث تطرقوا إلى إيضاح أغراضه في الجملة، كما عمدوا إلى بيان جماليات ملحوظة يخلقها إسقاط بعض العناصر في نص ما، و ذلك كله لإيصال الفكرة الدقيقة و المقاصد أو الأهداف الخاصة.

* هناك شروط للحذف أهمها وجود دليل على المحذوف، لفظيا كان أم صوتيا أم إعرابيا، يرجع المحذوف إليه.

* يقسم الحذف إلى عدة أقسام حسب الاسمية و الفعلية أو كون المحذوف جملة أو شبهها. و تتنوع أنماطه بتنوع ما ذهب إليه كل من علماء البلاغة و علماء علم النص الحديث.

* إن النقطة المهمة التي تتضح خلالها أهمية الحذف، هي دوره في تماسك النص، حيث يعمل المحذوف على أن يربط بين أجزاء الجملة الواحدة، ثم بين أجزاء الفقرة الواحدة، إلى أن يربط بين أجزاء النص كله و ذلك بالمرجعية و التكرار. فيعمل المحذوف كالمذكور في الإرجاع و الإحالة كما يعمل عمله في تكرار العناصر الكلامية.

* طالما اتصفت و تميَّزت النصوص الإسلامية من القرآن، و الحديث النبوي، و نصوص الأئمة (عليهم السلام)، بكونها منسجمة جارية جري الماء، لا يكلفها تعقيد، و لا يشوبها غموض.

* و المهم بعد الدراسة و التحليل أن النصوص هذه بأوصافها، تنبع عن العلوم السماوية و المعارف الالهية،فتظهر عذبة متوازنة و تجري دون تكلف أو اصطناع.

المصادر و المراجع

- القرآن الكريم.
- إبراهيم الفقي، صبحي(٢٠٠٠ م) علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق ؛ ط١، القاهرة : دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع.
- أحمد فرج، حسام(٢٠٠٧ م) نظرية علم النص ؛ ط١، القاهرة : مكتبة الآداب.
- الأخضر الصبيحي، محمد(١٤٢٩ هـ. ق) مدخل إلى علم النص و مجالات تطبيقية ؛ ط١، الجزائر : الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف.
- التفتازاني، سعد الدين (ش) مختصر المعاني ؛ط ١٠، قم : دار الفكر.
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن(د.ت) دلائل الإعجاز ؛ د.ط، بيروت : دار الكتب العلمية.
- حميد، عبد الكريم(١٤٣٢ ق) « الحذف في القرآن الكريم » ؛ مأخوذة في تاريخ ٢٠١٢/١٢/١٧ من الموقع التالى : www.alukah.net.
- رمضان النجار، نادية(د. ت) علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق ؛ مجلة علوم اللغة، المجلد التاسع، العدد ٢، صص ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، كلية الآداب، جامعة حلوان. مأخوذة من الموقع : www. noormags.org .
- سليمان حمودة، طاهر(١٩٩٨ م) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوى ؛ الإسكندرية: الدار الجامعية للطباعة و النشر.
- سيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (١٩٩٦ م)الإتقان في علوم القرآن ؛ ط ٣، دمشق: دار ابن كثير للطباعة و التشر و التوزيع.
- شبل محمد،عزّة(٢٠٠٧ م) علم لغة النص ؛ ط ١، القاهرة : مكتبة الأداب.
- الشهري، علي بن عبدالله(١٤٢٤ ق) « أسلوب الحذف في سياق القصص القرآنى »؛ مجلة الأحمدية، عدد الرابع عشر، جمادي الأولى ١٤٢٤، صص ٢٣، ٢٤، مأخوذة في تاريخ ٢٠١٢/١٢/٢٢ من الموقع التالي : www. noormags.org.

- العسكري، أبو هلال(د. ت) معجم الفروق اللغوية ؛ مأخوذة من شبكة المشكاة الاسلامية.
- عفيفي، أحمد(٢٠٠١ م) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ؛ ط ١، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.
- فيض الإسلام، علينقى(١٣٦٨ هـ. ش) ترجمه و شرح صحيفه كامله سجاديه ؛ د.ط، تهران : انشارات فيض الإسلام.
- المدني الشيرازي، علي خان(١٤١٥ ق) رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين ؛ ط ٤، قم : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين.
- محمود خليل، إبراهيم(١٤٣٠هـ. ٢٠٠٩م) **في اللسانيات و نحو النص**؛ الطبعة الثانية، عمان : دار المسيرة للنشر و التوزيع.
- محمودي، شعيب(٢٠٠٩ م) بنية النص في سورة الكهف ؛ قسنطينة، جامعة منتوري. مأخوذة من الموقع : www. noormags.org .
- مفتاح، إبراهيم محمد(٢٠١٠ م) « الحذف و دوره في التماسك النصي ». مأخوذة في التاريخ ٢٠١٢/١١/٢٨ من الموقع التالي : . www.ta5atub.com
- الهاشمي، أحمد(١٣٧٨ ش) جواهر البلاغة ؛ ط ١، قم : نشر قدس رضوي.